مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 19 عدد: 01 جوان 2023
العنوان: الوضع الثقافي للدولة الحفصية... ص.ص 679- 695.

الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري

The cultural situation of the Hafsid state during the seventh century AH

نورة قطوش
Noura guettouche
جامعة محمد بوضياف /المسيلة
Noura.guettouche@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2020/07/21؛ تاريخ القبول: 2022/02/20

The cultural situation of the Hafsid state during the seventh century AH

Abstract:
The seventh century AH witnessed a scientific and cultural prosperity in all of the Central and African Maghreb. During the Hafsid era, princes and sultans were keen to bring scholars and writers closer and empower them to the highest ranks in the state due to their great role in the cultural and civilizational field in general. Where Tunisia has become a kiss for writers and poets, especially those from Andalusia, due to the security and stability these people found under the Hafsid state, and to escape the difficult conditions that Andalusia was experiencing, including the siege of the Christians of Andalusia, and the fall of Andalusian cities one by one.

The Andalusian immigration movement is also one of the most important phenomena witnessed in the Maghreb during the seventh century AH, where a large number of scholars and writers and scholars of Andalusia immigrated to the Islamic Maghreb, and most of them chose to go to Tunisia, the capital of the Hafsid state, and others chose to go to the Maghreb. These migrants contributed to The cultural and scientific

movement in this period.

Key words: Hafsid era, culture, literature, prosperity, Andalusian migration, scientific trips.

الملخص:

لقد شهد القرن السابع الهجري ازدهارا علميا وثقافيا في جميع حواضر المغرب الأوسط وأفريقية.خلال عهد الدولة الحفصية .حيث حرص الأمراء والسلاطين على تقريب العلماء والأدباء وتمكينهم من أعلى المراتب في الدولة وذلك نظرا لدورهم الكبير في المجال الثقافي والحضاري بصفة عامة. حيث أصبحت تونس قبلة للأدباء والشعراء، خاصة الوافدين منهم من الأندلس، وذلك لما وجده هؤلاء من أمن واستقرار في ظل الدولة الحفصية، وهربا من الأوضاع الصعبة التي كانت تعانيها الأندلس، منها حصار النصارى للأندلس، وسقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى.

كما تعدّ حركة الهجرة الأندلسية من أهم الظواهر التي شهدتها بلاد المغرب خلال القرن السابع الهجري حيث هاجر عدد كبير من علماء وأدباء وفقهاء الأندلس نحو المغرب الإسلامي وقد اختار معظمهم التوجه إلى تونس حاضرة الدولة الحفصية والبعض الآخر اختار التوجه إلى المغرب الأوسط.وقد ساهم هؤلاء المهاجرون في الحركة الثقافية والعلمية في هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: العهد الحفصي، ثقافة، أدب، ازدهار، الهجرة الأندلسية، الرحلات العلمية.

-1- مقدمة:

ساعدت الظروف التي مرت بها الدولة الموحدية في ظهور بني حفص كإمارة مستقلة، ويعد 'أبو زكريا يحي' الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس فقد استقل بإمارة افريقية في عام 626هـ. وقد كان لظهور دولة بني حفص من الأهمية ما جعلها تحافظ على الكيان العربي الإسلامي، وتصبح لها الريادة في مختلف المجالات خاصة خلال القرن السابع الهجري ،حيث عرفت البلاد

نهضة ثقافية وأدبية ،"ومن مظاهر تلك النهضة ازدهار النثر الفني الذي امتازت به رسائل ذلك العهد كما ازدهر الشعر وخصوصا الشعر المرتجل في المناسبات"(ابن عامر أحمد(1974): 67)، وكان لسلاطين بني حفص دورا مهما في دفع الحركة الثقافية والأدبية،وذلك بتقريبهم للشعراء والأدباء،وتقليدهم أعلى المراتب في الدولة،كما كان لمهاجري الأندلس دورهم البارز في هذه النهضة الثقافية ،وفي مختلف المجالات الأخرى خاصة المجال الاقتصادي،ومعلوم أن الوضع الثقافي لدولة ما هو انعكاس لوضعها السياسي والاقتصادي،وبناء عليه يحق لنا أن نتساءل عن أوضاع الدولة الحفصية في هذه الفترة،فهل عرفت البلاد استقرارا سياسيا خلال القرن السابع الهجري؟وما هي انعكاسات ذلك على باقي المجالات الأخرى خاصة المجال الثقافي؟وما مدى مساهمة أمراء الدولة الحفصية في تنشيط الحركة الثقافية؟

وما هي أهم آثار الهجرة الأندلسية على تطور الأوضاع في تلك الفترة؟ وبالتالي سيتم التركيز في هده الدراسة على النهضة الثقافية والأدبية في مع محاولة الإحاطة بالجوانب الأخرى كالجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدولة لأن التطور والازدهار الثقافي والعلمي لدولة ما مرهون بمدى تطورها في باقي المجالات الأخرى مما يؤدي حتما إلى نهضة فكرية وثقافية.

في البداية تجدر الإشارة إلى أن نسب الحفصيين يرجع إلى الشيخ (أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني) (أنظر التعليق رقم1) الذي ينتمي إلى قبيلة (هنتانة) وهي من أعظم قبائل المصامدة ودولتهم متشعبة عن دولة الموحدين (بن أ بي الضيا ف،أحمد،1976:391). وتعدّ ولايته على أفريقية تمهيدا لانبعاث دولة جديدة في تونس،بعد تبعيتها السابقة للسلطنة الموحد ية ، حيث يعدّ هذا الحد ث البداية الأولى لاستقلال افريقية عن دولة الموحدين،ثم حدث الانفصال الرسمي على يد (أبي زكريا الحفصي) سنة (626هـ/1229م) (أبو ضيف مصطفى،1982 :119). حيث استطاع هذا الأ خير أن يشكل إمارة في تونس،واستولى على قسنطينة و بجاية ودخل تلمسان وأتته بيعة أ

نورة قطوش
Noura.guettouche@univ-msila.dz

هل طنجة وسبتة،وبايعه أهل شرق الأندلس(الصلابي محمد 2003: 263) .

ترجع البداية الأولى للحفصيين بإفريقية إلى سنة (603هـ/1206 م) حيث فوض الخليفة الموحدي (محمد الناصر) (انظر التعليق رقم2)¨ أمر افريقية إلى وزيره وصهره الشيخ(عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني) ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكما مستقلا.فقبل عبد الواحد بن أبي حفص الولاية على افريقية مقابل شروط معينة ، وهي التي ذكرها التجاني في رحلته وذلك في قوله:(...فاشترط ألا يتولى افريقية إلا بقدر ما تصلح أحوالها وينقطع طمع (الميوروقي) (انظر التعليق رقم3). عنها ويتخير الناصر في رجاله من يوجهه عوضا عنه، وجعل في ذلك النهاية ثلاثة سنين، وأنه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه، وأنه إن فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه) (التجاني،1958 :362).

2-الوضع السياسي:أعلن أبو زكرياء الحفصي استقلاله التام بالملك وانقطاع تبعيته للموحدين رسميا سنة(634هـ/1236 م). وفي ذلك يقول الزركشي: (وفي سنة أربع وثلاثين وستمائة

ذكر المولى أبو زكرياء نفسه في الخطبة بعد ذكر الأمير وبويع البيعة الثانية التي لم يتخلف فيها أحد من الناس) (الزركشي عبد الواحد،1966 :27).وبالتالي يمكن اعتبار هذا الخليفة المؤسس الفعلي للدولة الحفصية التي بدأت كإمارة مستقلة في عهد أبي(زكرياء الأول) ثم تحولت إلى خلافة في عهد ولده (أبي عبد الله محمد المستنصر) أمير المؤمنين، والذي تسمى بهذا الاسم بعد أن بايعته مكة بالخلافة يقول الزركشي: (ولم يتسم بأمير المؤمنين إلا بعد أن بايعته مكة بالخلافة، إلا في اليوم الاثنين الرابع والعشرين لذي الحجة من سنة خمسين وستمائة وذلك لما قدمت عليه البيعة من مكة) (الزركشي،1966 :33). .وكان عهده كعهد أبيه، عهد رخاء واستقرار إلى أن توفي سنة675هـ .

يرى عبد الحميد حاجيات (أن قيام الدولة الحفصية من العوامل الرئيسة لانهيار دولة الموحدين، هذه الأخيرة التي بقيت متمثلة في

الدولة الحفصية القائمة بتونس، غير أن هذه الأخيرة لم تستطع أن تبسط سلطانها على سائر أقطار المغرب، رغم ما قامت به من محاولات عديدة في مختلف فتراتها، ولم يحقق أمراؤها رغبتهم في نقل مقر خلافتهم إلى عاصمة الموحدين الأولى مراكش) (حاجيات عبد الحميد،1986: 78) يمكن اعتبار هذا الرأي صحيح، لكن ذلك كان قبل أن يعلن أبو زكرياء الحفصي استقلاله التام عن الدولة الحفصية وانقطاع تبعيته للموحدين سنة (634هـ/1236م) ،وشهدت الدولة على أيامه استقرارا وازدهارا في جميع الميادين إلى أن توفي سنة 647هـ، بنواحي بونة.(أنظر التعليق رقم4) ثم خلفه ولده المستنصر، والذي تسمى بأمير المؤمنين بعد أن بايعته مكة بالخلافة سنة 650هـ (الزركشي عبد الواحد، 1966 :27).

وبعد تملك المستنصر زمام الأمور، وانتظم له أمر دولته، تقدم للسيطرة على أقاليم الدولة التي كانت خارجة عنه، ثم امتد نفوذه إلى المغرب.فشهدت الدولة الحفصية أيام ازدهار ورخاء على أيامه إلى أن توفي سنة (675هـ).

وبعده بدأت أوضاع الدولة في التدهور، حيث بويع بعده ابنه يحي الملقب (بالواثق) وشهد عهده فتنا واضطرابات حادة، بينه وبين عمه (أبو إسحاق)، هذا الأخير الذي امتدت فترة حكمه من (678هـ إلى 683هـ) (القسنطيني ابن قنفد،1968: 118). ، ولم يخل عهده من فتن واضطرابات، إلى أن استلم (الدعي) أمر بني حفص بغير وجه حق واشتد التنافس بين أمراء البيت الحفصي، وأصبح هدف كل واحد هو الوصول إلى الحكم وبأي طريقة.إن ما شهدته الدولة من فتن واضطرابات، وصراع من أجل الحكم، بين أمراء البيت الحفصي، يجعلنا نقول أن فترة حكم أبي زكرياء الأول وابنه المستنصر هي الفترة التي عرفت فيها الدولة نوعا من الاستقرار السياسي، وبالتالي الازدهار في جميع المجالات.

3 ـ **الوضع الاجتماعي:** إن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لدولة ما هو دائما نتيجة انعكاس لوضعها السياسي، والدولة الحفصية كما سبق الذكر وضعها السياسي كان يتأرجح بين القوة والضعف؛ الاستقرار أحيانا والتدهور أحيانا أخرى، وذلك عبر فترات زمنية معينة، وطبعا

هذا الوضع كان ينعكس إما بالسلب أو الإيجاب على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للدولة الحفصية. ونشير إلى أن سكان تونس (قد كانوا مزيجا من أجناس مختلفة ولعل أهم عنصر هم لاجئو الأندلس، فقد هاجر إلى تونس نخبة هائلة من كبار وعلماء وأدباء العدوة الاسبانية، وما انفكت هجرتهم إلى افريقية في نمو وازدياد وكل منهم يحمل إليها أوضاع جديدة وتقاليد في العلم والفن والصناعة.)(عبد الوهاب حسن حسني:33) حيث عرف المجتمع الحفصي وجود عناصر من مختلف الأجناس،وساهمت هذه العناصر في التطور الذي عرفته البلاد؛فمثلا في مجال العمران،اعتبر البعض أن فن العمارة بتونس هو محض تقليد لمباني المغرب الأقصى،القائمة يومئذ على سواعد مهندسين ومعماريين أندلسيين(الجيلالي عبد الرحمان،1974 :72) ولعل هذا التمازج واحتكاك العناصر هذه يبعضها البعض هو ما أدى فيما بعد إلى تطور الصناعات والحرف وبالتالي عم الرخاء خاصة أثناء فترات الاستقرار السياسي التي عرفتها الدولة. ذكر (محمد الطمار) (أن القبائل العربية كانت تنتقل بين جهات متعددة، ووقع احتكاك وتلا قح بين العرب و البربر، وكان لهذا التنقل أثره من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. فنزح العمران إلى السواحل البحرية وازدهر النشاط الاقتصادي في المدن الساحلية خاصة) (الطمار محمد، 2006 :184). -أما في ما يخص الجانب الديني للسكان فيرى (ا بن عامر أحمد)أنه: (بما أن الدولة الحفصية تفرعت عن الدولة الموحدية المنبثقة عن حركة دينية، بنيت على تعاليم إصلاحية استمسك بها الأمراء الحفصيون فإن ذلك لم ينفر السكان من تلك التعاليم الدينية التي تعتمد على القواعد والدينية السلفية المحافظة ومنها التشدد في الدين، وفي العقاب على البذاءة و مقاومة البدع.لأنها لا تتنافى مع المذهب المالكي الذي يعتنقونه، وبذلك استطاع الأمراء الحفصيون أن يقرروا هذا المذهب إقرارا نهائيا في البلاد.) (ابن عامر أحمد،1974 :103) ما يمكن قوله في الأخير هو أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للدولة الحفصية قد عرف هو الآخر فترات ازدهار ورخاء وفترات تدني وتدهور وذلك تبعا لتطورات الوضع السياسي للبلاد.

نورة قطوش
Noura.guettouche@univ-msila.dz

4-الوضع الثقافي والأدبي:

لقد نشطت الحركة الثقافية خلال القرن السابع الهجري وتقدمت تقدما كبيرا سواء بتونس أو المغرب الأوسط، حيث نبغ أعلام كثيرون في بجاية وتلمسان والجزائر وملیانة وقسنطينة،وقد ذكرهم 'الغبريني' في كتابه (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية) كما سجل لنا 'العبدري' في رحلته بعض ملامح الحركة العلمية ببجاية حيث

يقول:(مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية وثيقة البنيان وعجيبة الإتقان...وهذا البلد بقية قواعد الإسلام وحل حلة من العلماء والأعلام) (العبدري :23) .وكانت بجاية قد دخلت في حكم الحفصيين بعد استيلاء أبي زكرياء الحفصي عليها سنة629هـ،وجعل من بجاية عاصمة لولاية مستقلة تشمل الجزء الأكبر من قسنطينة.

وفي هذه الفترة انتشر التعليم بواسطة الكتاتيب ،والمدارس،والمساجد والزوايا،وقد كان 'لجامع الزيتونة' دوره البارز في مجال التعليم حيث (انتظم التعليم به وبتلك المدارس والجوامع والزوايا خاصة في علوم اللغة والشريعة والفقه والحديث والتفسير وغيرها)(ابن عامر أحمد،1974: 66).

أ-المساجد:تعدّ المساجد في العهد الحفصي من أهم معاهد التعليم والثقافة،(وقد كانت كلمة مدرس مقصورة على من يقوم بالتدريس في المرحلة العالية من التدريس سواء كان ذلك في المسجد أو المدرسة،...وكان الولدان يرسلون إلى الكتاتيب متى بلغوا سن التميز في الرابعة أو الخامسة من أعمارهم)(محمد عادل عبد العزيز،1987:17)

-ظهرت في بلاد افريقية مساجد عدة لعبت دورا كبيرا في ظهور نخبة من المفكرين،والعلماء بتونس أهمها جامع القيروان.(تميز العهد الحفصي على العهود التي سبقته بارتقاء مدينة تونس إلى درجة عاصمة دولة رفيعة الشأن فترتب على ذلك إزدهار في عمرانها وظهور مساجد وجوامع للخطبة وهي :جامع القصبة،وجامع القصر،وجامع الهواء)(شترة خير الدين، 2009: 665)

بالإضافة إلى تلك المساجد يعدّ جامع الزيتونة من أهم منارات العلم في تلك الفترة وقد وضع (أسسه القائد العربي حسان بن النعمان الغساني حوالي عام80هـ/ 649م)(رمضان التليسي،بشير،2003: 77)

ب-الزوايا:لقد كان للزوايا دورها البارز في الحياة الدينية والاجتماعية خلال هذا العهد،حيث كان الناس يجتمعون فيها للذكر وتلاوة القرآن وللزوايا أنواع فمنها البسيطة التي لا تنتمي لطريقة أو لمذهب،وهناك نوع آخر وهي التي تكون على ضريح أو تابعة لولي من أولياء الله الصالحين

لقد اهتم ملوك بني حفص بالزوايا نظرا لدورها الكبير في الحياة العلمية.

ج-المدارس:كانت المدارس والزوايا هي مراكز العلم في العالم الإسلامي

ثم ظهرت منشآت ثقافية جديدة خلال العهد الحفصي،فازدهرت الحركة العلمية والثقافية بفضل رعاية ملوك بني حفص وإنشائهم للمدارس،حيث ارتبط إنشاء المدارس في هذا العهد ارتباطا وثيقا بالوضع السياسي والاجتماعي للبلاد،ومن أهم المدارس في هذه الفترة نذكر:

-مدرسة الشمّاعين:أسسها أبو زكريا الحفصي سنة 633هـ/ 1237م.وسميت بهذا الاسم لقربها من سوق الشمّاعين،وكانت تعرف بأم المدارس في تونس.

-**المدرسة التوفيقية:** شرع في بنائها سنة 650هـ/1252م،وموّلن بناءها السيدةّ عطفّ في عهد ابنها المستنصر.

وبفضل تلك المساجد،والزوايا،والمدارس، عمت الثقافة سائر البلاد سواء بافريقية أو المغرب الأوسط.

1-4 دور الهجرة الأندلسية في تنشيط الحركة الثقافية :

إن ما شهدته الدولة من فتن واضطرابات، وصراع من أجل الحكم، بين أمراء البيت الحفصي، يجعلنا نقول أن فترة حكم أبي زكرياء الأول وابنه المستنصر هي الفترة التي عرفت فيها الدولة نوعا من

الاستقرار السياسي، وبالتالي الازدهار في جميع المجالات، فبالإضافة إلى الازدهار الاقتصادي والعمراني الذي أشرنا إليه سابقا، فقد عرفت الدولة أيضا
ازدهارا ثقافيا وأدبيا، حيث أصبحت تونس قبلة للأدباء والشعراء، خاصة الوافدين منهم من الأندلس، وذلك لما وجده هؤلاء من أمن واستقرار في ظل الدولة الحفصية، وهربا من الأوضاع الصعبة التي كانت تعانيها الأندلس، منها حصار النصارى للأندلس، وسقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى.
إذن كانت الاضطرابات السياسية في الأندلس، دافعا هاما لكثير من الأدباء الأندلسيين للهجرة إلى تونس، ولقد كان لهم مكانة كبيرة في بلاط الحفصيين، واثروا في أدباء المنطقة وسلاطينها، وذلك لما نقلوه إليهم من علوم، وما نشروه بينهم من علوم وفنون...
يذكر (ابن خلدون) أن الكاتب أو الأديب يتقلد أعلى المراتب في الدولة ويؤتمن على الأسرار، وتصبح له مكانة في ديوان الإنشاء عند الملك الحفصي، وهو وإن وصل إلى هذه الدرجة الرفيعة فبفضل علمه وأدبه يقول ابن خلدون (...وأما بنو حفص بافريقية فكانت الرئاسة في دولتهم أولا والتقدم لوزير الرأي والمشورة... واختص عندهم أيضا القلم بمن يجيد الترسيل ويؤتمن على الأسرار، لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا الترسيل بلسانهم ،فلم يشترط فيه النسب .) (.ابن خلدون ،2004 : 233).
كان لهذه الصفات التي تميز المهاجرين الأندلسيين بها أثر في الحياة العلمية بالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى، فأصبحت تلك المناطق وارثـة للعلـوم الأندلـسية (الطالبي ،محمد1975 : 46) وقد اختلفت مناهج التعليم في كل من المغرب الأدنى والأوسط عن التعليم في الأندلس، إذ كان التعلـيم في بلاد المغرب عامة يقتصر على تعليم القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية في البداية، ثم الانتقال إلى العلوم الأخرى، بينما اقتصر التعليم في الأندلس على علوم اللغة العربية وقواعدها ولاسيما الخط، وكان الطفل يبـدأ بتعلم القراءة والكتابة، ثم النحو واللغة والحساب، وبعدها ينتقل إلى دراسة المنطق، وعلوم

الطبيعة، ثم يليها علم الأخبار، والماورائيات، وفي النهاية ينتقل إلى دراسة العلوم الشرعية، (ابن خلدون عبد الرحمان،1967: 588) .

أصبحت تونس إذن قبلة للعلماء والأدباء، يقول 'العبدري' في رحلته عند حديثه عن تونس :(...وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيته بها حوله واردا و قائما، و بها من أهل الرواية والدراية عدد وافر من أهل يجلوا الفخار بهم عن محيا سافر) (العبدري محمد،1968 :42) وهي شهادة منه على ما كانت تحظى به تونس من رقي في المجال العلمي، وعلى ما كان يوليه أمراء بني حفص من اهتمام بالعلم والعلماء.

فالحياة الثقافية والأدبية عرفت ازدهارا مع بداية القرن السابع الهجري وخاصة عندما بايع أهل الأندلس المولى أبا زكرياء ، ومنذ ذلك الحين بدأ شأن هذا الأمير يعظم، وأصبحت تعقد عليه الآمال، حيث استغاث به أهل الأندلس وهاجر نخبة من أدباء وشعراء الأندلس إلى تونس نظرا لما وجدوه من اهتمام من طرف أميرها بالعلم والأدب.كالشاعر (ابن الأبار القضاعي) (أنظر التعليق رقم05) ،الذي (غادر الأندلس في البداية متوجها إلى أبي زكريا الحفصي (625-647هـ /1228-1249م) رسولا عن والي بلنسية المحاصرة، طالبا العون لفك الحصار عنها ورد عدوان الممالك النصرانية، ثم رجع بعد سفارته تلك إلى بلاد المغرب الأدنى (ابن الأبار محمد،1999 :408-412) بعد مغادرته الأندلس، إذ وصلها في أواخر سنة 636هـ/ 1238م، فقربه السلطان أبو زكريا الحفصي وعهد إليه وظيفة الكتابة، وبقي بهذه الوظيفة إلى وفاة أبي زكريا الحفصي، وخلفه ابنه وولي عهده المستنصر الذي أبقى ابن الأبار في وظيفته.، ولكن نتيجة الدسائس التي حيكت ضده أستطاع خصومه أن يوقعوا به، إذ نسبوا إليه أبيات من الشعر طعن فيها السلطان، ولما وقع هذا الشعر بيد السلطان المستنصر، أمر بقتله طعنا بالرماح في شهر محرم سنة 658هـ/1260م (ابن خلدون عبد الرحمان،1967 :49).

أسهم المهاجرون الأندلسيون في التأثير على الجانب الفكري بشكل كبير ليشمل اللغة والكتابة والخط، وبالتالي يمكن القول أنّ دورهم في النهضة الفكرية والثقافية في هذه الفترة لا ينكره أحد،وهذا ما يؤكده

"أحمد بن عامر بقوله" (وساهم في تلك النهضة بقسط وافر وهاجرو الأندلس والمثقفون وكان بلاط الأمراء عامرا بالشعراء والأدباء والظرفاء وكانت الندوات الأدبية والعلمية تنعقد في كثير من بيوت الأمراء ...في إطار فني يعتبر في جوانبه نسخة من الحضارة الإسلامية الأندلسية) (ابن عامر أحمد،1974: 67)

ومن الشخصيات الأندلسية المهاجرة التي أثرت في مجال اللغة نذكر:"أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي الأندلسي "(ت: 633هـ/1235م)، كان نحويا ولغويا متعدد الفنون، هاجر من الأندلس واتجه نحو بلاد المغرب الأوسط، ودخل تلمسان وسكن مدينة بجاية وقد وصفه الغبريني بقوله: (كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه، ولا يحفظ الانسان من اللغة حواشيها إلا وذلك أضعاف محفوظة من مستعملها، وكان قصده والله أعلم، أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره من الناس). (الغبريني،:269-270) .

ومنهم أيضا (أبو بكر محمد بن أحمد **بن** عبد الرحمن الزهر (ت:655هـ/1257م) ويعرف (بابن محرز البلنسي) وهو فقيه ولغوي، هاجر من الأندلس واتجه نحو مدينة بجاية حاضرة الدولة الحفصية واستقر بها، وله مؤلفات عدة منها تقييد على التلقين (مخلوف، محمد بن محمد ،1932 :194).

(وأبو الحسن حازم بن محمد الغرناطي) (ت:684هـ/1285م): الفقيه الشاعر، هاجر تاركا الأندلس، واتجه نحو المغرب الأدنى، واستقر بتونس، ومدح أميرها الحفصي المستنصر بالله، ومن أهم مؤلفاته في مجال اللغة (سراج البلغاء في البلاغة)(مخلوف، محمد بن محمد ، 1932 :197) .

4- 2 أثر الهجرة الأندلسية في تنشيط الحركة الثقافية:

كان لهجرة العلماء والأدباء من الأندلس إلى المغرب الإسلامي أثرها الواضح في كافة الميادين خاصة الميدان الثقافي ،حيث اشتغل المهاجرون في مجال التعليم في بلاد المغرب الأوسط، وتميزوا بحبهم للعلم واهتمامهم الكبير به، فكان العالم معظما عندهم سواء عند الخاصة و العامة، ولتفوقهم العلمي وانتشار المعرفة بين صفوفهم،

ولامتلاكهم هذه الصفات العلمية المميزة، أدى إلى تأثر سكان بلاد المغرب بهم، فزاد الإقبال عليهم بشكل كبير (المقري شهاب الدين،1998: 181)

واتسع مجال التأثير ليشمل طر ق الكتابة ورسم الخط، إذ صار الخط الأندلسي نموذجا يحتذى به، وغلب الخط الأندلسي على الخط المغربي في أنحاء بلاد المغرب المختلفة التي حَّل بها المهاجرون (بلعريبي خالد، 2014 :167). وقد وصف ابن خلدون هذا التأثير للمهاجرين الأندلسيين بقوله : (**أما** أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم البربر وتغلبت عليهم الأمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية ... فغلب خطهم على الخط الأفريقي وطغى عليه ... وصارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الأندلسي). (ابن خلدون عبد الرحمان،1967 :124) .

3-4 الرحلات العلمية:

ومن أهم الملامح الأدبية والثقافية في الدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري، الرحلات نحو المشرق وظهور عدد كبير من المؤرخين المغاربة، ومن أهمهم نذكر عبد الرحمن ابن خلدون المؤرخ وعالم الاجتماع، وغيره

ومن أهم الرحلات العلمية نذكر **(رحلة العبدري)** الذي بدأ رحلته من المغرب الأقصى متجها إلى البقاع المقدسة، وجاءت هذه الرحلة ثرية بالأحكام النقدية والأدبية ،حيث كانت له لقاءات مع أدباء كل مدينة ينزل بها.

أما رحلة التجاني (محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني)(675ه-717ه)، فقد حوت أشعارا كثيرة، ورسائل فنية مختلفة.

ومن الرحلات التي تجمع بين وصف المشاهد الطبيعية ووصف العمران **رحلة ابن جبير**(540- 614هـ) المسماة(تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار)، وقد زار هذا الرحالة مدنا كثيرة في المغرب والمشرق .إن هذه الرحلات الأدبية تدل على ما وصلت إليه الحركة الأدبية والثقافية من تطور في هذه الفترة.

نورة قطوش
Noura.guettouche@univ-msila.dz

لقد سعى سلاطين بني حفص في هذه الفترة أيضا إلى العناية بالجانب الحضاري للدولة من تعمير وتشييد، وإنشاء مؤسسات، تدل على ذوق حضاري لهؤلاء السلاطين، وخاصة في عهد أبي زكريا الحفصي وابنه المستنصر، حيث تم في هذه الفترة بناء المدارس والمساجد والقصور، وإنشاء الأسواق. كما ابتنى أبو زكريا مدرسة (الشماعين) (أنظر التعليق رقم 06)، وكان المستنصر بن أبي زكريا من أكثر سلاطين بني حفص عناية ببناء المظاهر الحضارية والمنشآت العمرانية، والدور الترفيهية (ابن الشماع،1984: 63).كما أن والدته (الأميرة عطف)، أمرت سنة647هـ ببناء جامع التوفيق، والمدرسة التوفيقية (أنظر التعليق رقم 07)

5-خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ الدولة الحفصية قد عرفت تطورا ملحوظا في الجانب الثقافي والأدبي خلال القرن السابع الهجري ففي الوقت الذي نكست فيه رايات الإبداع في كل من المشرق والأندلس فإن المغرب الإسلامي وإفريقية خاصة تتحول إلى مرتبة الريادة ،حيث كانت البلاد التونسية والمغرب الأوسط قبلة للعلماء والأدباء،لقد شهد القرن السابع الهجري إذن ازدهارا علميا كبيرا في جميع حواضر لمغرب الأوسط خاصة بجاية التي أصبحت منارة للعلم، وقد ألف" الغبريني "كتابه (عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية) وذكر فيه جل علماء وفقهاء هذه الفترة.

كان للعلماء والأدباء دورا هاما في تطور وازدهار الحياة الثقافية خاصة والاجتماعية بصفة عامة.فشهدت البلاد نهضة فكرية وثقافية .فاقبل الناس على العلم وانتشرت الكتاتيب والمدارس والزوايا وتم تدريس مختلف العلوم الفقهية والشرعية والأدبية والعقلية.فازدهر الشعر في هذه الفترة بفضل تشجيع الأمراء للحركة الأدبية ،كما عرف النثر تطورا أيضا خاصة أدب الرسائل.وكان لأدب الرحلة دوره في حفظ الموروث الشعري والنثري 'كرحلة العبدري' الثرية بالأحكام النقدية، 'ورحلة التجاني' التي سجل لنا فيها أشعارا ورسائل فنية كثيرة.

نورة قطوش
Noura.guettouche@univ-msila.dz

كما ساهمت الهجرة الأندلسية في توجه عدد كبير من الأدباء والشعراء إلى حواضر الدولة الحفصية حيث ساهموا بإنتاجهم العلمي والفكري في تنشيط الحركة الثقافية.

كانت هذه نظرة موجزة عن الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري الذي يمكن اعتباره قرن ازدهار واستقرار للدولة الحفصية.وتبقى آفاق البحث مفتوحة لدراسة مدى فاعلية النخبة الأندلسية من شعراء وأدباء وعلماء في المساهمة في الحياة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري.كذلك دور أمراء وسلاطين الدولة الحفصية في النهوض بالحركة الثقافية والعلمية .

7-التعليقات:

1- هو إبراهيم بن يحي بن عبد الواحد بن أ بي حفص عمر بن يحي الهنتا ني ،أمير المؤمنين بتونس وبلاد أفريقية، ولما صار الأمر للنا صر الموحدي ، صرف وجهه إلى أ أفريقية ، وهو الذي سحق قوى يحي بن غانية، في موقعتين ،الأولى سنة602هـ، والثانية سنة 606هـ. ينظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أ خبا ر غرناطة،مج1،ص 310

2-هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، بويع له بعهد أبيه إ ليه سنة 595هـ ، وكانت وفا ته سنة610هـ. - ينظر: عبد الواحد المرا كشي: المعجب في تلخيص أ خبا ر المغرب ، ص219.

3 - هو يحي بن إ سحق المعروف بابن غانية ا لميروقي ، من أسرة بني غانية وهم أسرة من القوا د المرابطين ، اشتهرت بالمغرب والأندلس ، وكان بنو غانية حين انهارت دولة المرابطين في المغرب و الأندلس قد استولوا على الجزائر الشرقية وكبراها (مايروقة) وأقاموا بها ووضعوا خطتهم لمناوأ ة الدولة الموحدية وضر ب سلطانها في أفريقية ،ونجح بنو غانية في تنفيذ خطتهم واستولوا على معظم ثغور ومد ن افريقية ومن بينها العاصمة تونس ،ولبثت الدولة الموحد ية ترسل البعوث لقتالهم دو ن جدوى ،حتى كانت ا لحملة التي

قادها الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص. _ينظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أ خبا ر غرناطة، مج1 ، ص 311

4 بونة هو الاسم القديم لمدينة عنابة الحالية.

5-- هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي، اشتهر بـ : ابن الأبار، ولد في مدينة بلنسية سنة 595هـ/1198م، وينحدر من قبيلة قضاعة اليمنية العربية، والتي استوطن جل أفرادها المهاجرين شرق الأندلس.

6-انفرد ابن الشماع بذكر مؤسسها وهو أبو زكرياء يحي الأول في حدود سنة633هـ ،ولازالت هذه المدرسة قائمة إلى الآن.

7 -لم تذكر المصادر تاريخ تأسيسها غير وفاة أول مدرس بها وهو(أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الأشبيلي)سنة 657هـ .ويرجح أنها تأسست قبل هذه السنة . - ينظر: ابن الشماع: الأدلة البينة ا لنورانية ص 63.

8- المراجع:

1- بلعربي ،خالد، مساهمة الجالية الأندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة دراسات ، جامعة بشار ، العدد 2014.5
2- الجيلالي عبد الرحمان (1994):تاريخ الجزائر العام،ط7، الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية.
3-رمضان التليسي،بشير(2003) :الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن4هـ/10م،لبنان ،دار المدار
4- -الزركشي (1966): تاريخ الدولتين ، الموحد ية و الحفصية، تح: محمد ماضور. تونس،المكتبة العتيقة .
5- حاجيات عبد الحميد (1986) (عنابة في عهد الحفصيين)، مجلة الأصالة، السنة الخامسة، ، العدد35/34.
6- الطالبي، محمد،(1975) ،الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين، مجلـة الأصـالة، الجزائر،العـدد 26،

7- الطمار محمد(2006):تاريخ الأدب الجزائري، ،الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية .
8-شترة،خير الدين(2009) :الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة،1900-1956،دار البصائر
9- مخلوف، محمد بن محمد(1932)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،القاهرة، المطبعة السلفية.
10- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد،(1998) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: البيقاعي، ط1،بيروت، دار الفكر للطباعة.
11- ابن عامر أحمد(1974): الدولة الحفصية ، تونس ،دار الكتب الشرقية 1974.
12- العبدري محمد(1968): الرحلة،تح: محمد الفاسي، الرباط .
13- عبد الوهاب حسن حسني :ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية،ق1،ط2،تونس،مكتبة المنار.
14-عبد العزيز،محمد عادل(1987):التربية الإسلامية في المغرب،أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية،الهيئة المصرية العامة للكتاب
15- الصلا بي محمد(2003): إ علام أ هل العلم والدين بأ حوا ل دولة الموحدين ،ط1 ، القاهرة ،دار التوزيع والنشر الإسلامية،.
16-ابن قنفد القسنطيني(1968) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تح: محمد الشاذلي النيفر،و عبد المجيد التركي،تونس،الدار التونسية للنشر. .
17- ابن الشماع(1984) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تح:الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب.
18-التجاني(1958): الرحلة، تقديم : حسن حسني عبد الو ها ب ، ، تونس، المطبعة الرسمية.
19- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(1967)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، بيروت،دار الكتاب اللبناني.

نورة قطوش
Noura.guettouche@univ-msila.dz

20-.ابن خلدون عبد الرحمان(2004): المقدمة نسخة محققة –لونان بإخراج جديد. بيروت –لبنان. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
21- ابن أبي الضيا ف، احمد(1976): إتحاف ف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس الدار التونسية للنشر والتوزيع.
22- أبو ضيف أ حمد ،عمر (1982): القبائل العربية في المغرب (في عصري الموحدين و وبني مرين)، الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية.
23-الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله(1981)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

للإحالة على هذا المقال:

ـ نورة قطوش، (2023)، «الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري». **المواقف**، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص. ص 679- 695.